الدكتور كامل السوافيري

الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين

من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٦٠

الطبعة الثانية

مزيدة منقحة

١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م

الدكتور كامل السوافيري

الاتجاهات الفنية
في
الشعر الفلسطيني المعاصر

الطبعة الأولى
١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

بحث نال به مؤلفه درجة

الماجستير فى الأدب العربى

من كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

مع مرتبة الشرف

فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٦٢

طبعت الطبعة الأولى من هذا الكتاب بمطبعة نهضة مصر

١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م

وطبعت الطبعة الثانية بمطابع سجل العرب

١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

عندما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى صيف عام ١٩٦٤ استقبله القراء فى مصر والأقطار العربية بأعظم حفاوة ، وأجل تكريم ، وانبرت أقلام أعلام الأدب ، وأقطاب الفكر فى الوطن العربى مشيدة بالجهد الذى بذل فيه ، منوهة بالنتائج التى حققها إذ كان أول بحث منهجى تناول الشعر الذى استوحى محنة فلسطين قبل الكارثة وبعدها ، وكان دراسة رائدة مبتكرة فى هذا المجال لم يسبق أن خاض غمارها دارس ، أو اقتحم لجها باحث ، ولعله كان يومئذ المرجع الوحيد للشعر العربى الحديث الذى استوحى محنة فلسطين من الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ قبل وقوع المأساة وفواجعها الدامية بعد وقوعها من ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٥ .

وضم شعر أبناء فلسطين الذى استلهم أحداث بلادهم ، وفواجع وطنهم أولا ، وشعر أبناء الوطن العربى فى جميع أقطاره ثانيا ، وشعر الشعراء العرب فى المهاجر الأمريكية ثالثا ، وسلط أشعة النقد على هذا الشعر كاشفا عن مواطن الجمال ، ولمحات الفن ، وسمات العبقرية ، وقبل أن يعرض النصوص الشعرية قدم عرضا تاريخيا موجزا لقضية فلسطين ، وما كان ينعم به أهلها من أمن ورخاء قبل تنفيذ المؤامرة الاستعمارية على بلادهم التى كان تصريح بلفور بداية لها وكان هذا العرض محققا أهدافه لالقاء الأضواء على الأحداث والموضوعات التى تناولها الشعر ، والتى يتوقف فهمه عليها .

وبتعبير أدق . كان الكتاب كتاب تاريخ ، وكتاب أدب ، وكتاب نقد وكان سجلا أمينا لأجود ما أوحت به فلسطين من شعر فى الموضوعات

المختلفة نسقت أبوابه ، ورتبت قصائده ترتيبا روعى فيـــه الربط بين الأحداث والنصوص •

* * *

وتراخى الزمن بالكتاب بعد أن نفدت نسخه ، وكثر عدد الباحثين عنه ، وصرفتنى عنه صوارف أعباء الحياة من ناحية ، والتفكير فى اصدار كتب جديدة غيره بدلا من اعادة طبع كتاب قديم وبالفعل أصدرت بعده أربعة كتب فى الفترة الواقعة بين ١٩٧٠ و ١٩٨٠ • أى فى غضون عشر سنوات ، ولكن الحرص على اعادة طبعه ، والرغبة العارمة فى الحصول عليه أخذت تزداد على مر السنين وطفق البريد يمطرنى بوابل من كتب القراء فى مصر والأقطار العربية متوجهة لى بالرجاء لأعيد طبع الكتاب ، وتوالت على منزلى وفود من طلاب الدراسات العليا فى الجامعات المصرية والعربية اختاروا للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه موضوعات تتصل بفلسطين وبالشعر الذى استوحاها قبل الكارثة وبعدها وبالشعراء من أبنائها الذين صوروا فى شعرهم مأساة قومهم وبلادهم •

وكانت أقوى هذه الرغبات ، وأعظمها تأثيرا على نفسى تلك الرغبات التى أبداها لى الدارسون المعجبون بشعراء فلسطين حيث اختاروهم — اختاروا حيواتهم وشعرهم — موضوعات لحصولهم على الماجســتير والدكتوراه أمثال : ابراهيم طوقان ، وعبد الرحيم محمود ، وعبد الكريم الكرمى — أبى سلمى — ومحمد العدنانى الشاعر والكاتب واللغوى ، وبرهان الدين العبوشى ، وغيرهم •

* * *

وتلبية لنداء القراء الكرام ، وتحقيقا لرجاء الباحثين والدارسين ونزولا على رغبة طلابى فى مصر والأقطار العربية من عشاق المعرفة الذين يواصلون دراستهم فى أقسام الدراسات العليا • يسرنى أن أعيد طبع الكتاب للمرة الثانية بعد أن مضى على صدور طبعته الأولى عشرون عاما •

وقد تطلبت إعادة الطبع إعادة النظر لتلافى جوانب القصور ، وتدارك ما يمكن من نقص .

لقد مدت الفترة الزمنية فجعلتها تبدأ من سنة ١٩٠٠ وتنتهى فى سنة ١٩٦٠ بعد أن كانت تبدأ من ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٥ .

وأضفت نصوصا جديدة للشعراء فى المغرب العربى تونس والجزائر والمغرب وليبيا بعد أن أعوزتنى فى الطبعة الأولى لصعوبة العثور عليها يومئذ .

كما أضفت نصوصا جديدة لشعراء فى بعض الأقطار العربية لم يتح لى الاطلاع عليها حين قدمت الكتاب للطبعة الأولى منذ عشرين سنة وحرصت على إبقاء النصوص التى عرضتها فى الطبعة الأولى دون أن أحذف منها ذلك لأنى بذلت جهدا مضنيا فى جمعها فاق ما بذلته فى نقدها وتحليلها ودراستها من الناحية الفنية .

وحذفت جزءا من المقدمة المستفيضة للطبعة الأولى التى رويت فيها قصة تأليف الكتاب ، وتحوله من كتاب إلى رسالة جامعية .

كما حذفت الدراسة التى عقدتها للمقارنة بين الأقطار العربية فى تأثرها بالمأساة وفواجعها .

لقد جال قلمى فى صفحات الكتاب بالحـذف والاضافة ، والتنقيح والتنسيق بما دعت الحاجة إليه هنا وهناك ، وبما ييسر على الباحثين والدارسـين .

وأرجو أن أكون قد تلافيت جوانب القصور ، وتداركت مواطن النقص ، واستكملت ما لم أكن قد استكملته ، وسـلطت الأضواء على الزوايا التى كان يلفها الظلام فى الطبعة الأولى من حيث اضافة بعض النصوص التى تمثل شعراء جميع أقطار الوطن العربى .

وأرى لزاماً علىَّ أن أتوجه بأصدق آيات شكرى أولاً لأعلام الأدب وفرسان الشعر الذين أمدونى بما طلبت منهم من نصوص ، وثانيا إلى الأقلام الشريفة التى قرظت الكتاب فى طبعته الأولى ، وأطرت الجهد المبذول فيه ، وثالثا لأبنائى طلبة الدراسات العليا المتناثرين فى جامعات غزة والقدس والخليل وبيرزيت والنجاح فى فلسطين ، والدارسين بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف ، وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وأقسام اللغة العربية فى كليات آداب القاهرة والاسكندرية وعين شمس والزقازيق وبنهـا • والمدرسين فى الجامعات العربية فى الوطن العربى •

وأضرع إلى الله عز وجل أن يجعل عملى خالصا لوجهه ، وأن يلهمنى الرشد والعون إنه نعم المولى ونعم النصير ،،،

مصر الجديدة ٢٧ من رجب سنة ١٤٠٥ هـ
١٧ من أبريل سنة ١٩٨٥ م

الدكتور كامل السوافيرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

١

لهذا البحث قصة بدأت فى خريف سنة ١٩٤٨ وهى السنة التى حملت أيامها لفلسطين وللأمة العربية أسوأ ما تحمل الأيام من محن ونكبات ، إذ وقعت فيها كارثة العرب القومية الكبرى ، ونعنى بها كارثة فلسطين التى انتهت باقتطاع قطر عزيز من جسم العروبة وفصله عن الأمة العربية وقيام دولة غريبة فيه بعد تشريد أهله وإجلائهم عن ربوعه .

ولقد كانت الكارثة صدمة عنيفة للعرب والمسلمين أفاقوا على هولها ، ورجعوا إلى أنفسهم يتساءلون فى مرارة كيف حدثت ؟ وكيف انتهت إلى هذه النهاية المفجعة ؟ واتجه الكتاب والمفكرون فى الوطن العربى إلى تحليل أسباب الكارثة وتعليل نتائجها واستلهام العظات والعبر من أحداثها وتوضيح الوسائل المؤدية للحلول بتغيير الأوضاع القائمة فى الدول العربية ، وانتهاج سياسة جديدة فى الثقافة والاجتماع والشئون العسكرية والاقتصادية ، وصدرت طائفة من الكتب نذكر منها على سبيل التمثيل الكتب التالية :

١ ــ معنى النكبة للأستاذ قسطنطين زريق ، بيروت سنة ١٩٤٨ .

٢ ــ عبرة فلسطين للأستاذ موسى العلمى ، بيروت سنة ١٩٤٩ .

٣ ــ من وحى فلسطين للأستاذ أحمد رمزى ، القاهرة سنة ١٩٤٩ .

٤ ــ بعد النكبة للأستاذ قدرى طوقان ، بيروت سنة ١٩٥٠ .

٥ ــ من أثر النكبة للأستاذ محمد نمر الخطيب ، دمشق سنة ١٩٥١ .

وتناولت هذه الكتب كارثة فلسطين شرحا وتحليلا وعرضا

للمشكلات ، واستقصاء للأسباب ، وتعليلا للأحداث ومحاولة للعلاج . أى أنها عنيت بالجانب السياسى ، ودعت إلى تغيير النظم السائدة فى الدول العربية وبنائها على أسس جديدة ؛ فالأستاذ زريق يعالج فى كتابه الجوانب الآتية : فداحة النكبة — الحل الأساسى — معنى النكبة — الصراع بين المبدأ والقوة فى قضية فلسطين . كما يبحث الأستاذ قدرى طوقان النواحى التالية : صلاحية العرب للحياة — أركان البناء — التربية والمدرسة — الصناعة المقدسة — حاجة العرب إلى الأسلوب العلمى .

٢

وأحدثت الكارثة انقلابا فى النظم السياسية للدول العربية ، وثورة جامحة على الحكام والملوك والقادة والرؤساء الذين أداروا دفة السياسة فى أثناء حرب فلسطين ، وتمردا على الأوضاع الفاسدة فحدث انقلاب حسنى الزعيم فى سورية فى ١٩٤٩/٣/٣٠ . ولقى الملك عبد الله مصرعه فى ١٩٥١/٧/٢٠ ، وقامت فى مصر ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ وكانت وليدة حرب فلسطين ، ولقى عدد من الساسة مصارعهم على أيدى أفراد من شعوبهم ، وسقطت حكومات كانت تتولى الحكم فى الدول العربية فى أثناء حرب فلسطين .

وأحدثت الكارثة أيضا انقلابا فى التفكير شمل مختلف النواحى فتغيرات نظرتنا — نحن العرب — للحياة بعد أن استيقظت مشاعرنا على واقعنا المؤلم ، وأخذنا نغيره بما يتلاءم مع الزمن والمصلحة والعلم ، وتجلى ذلك فى حاجتنا إلى القوة بكل ما تستلزمه من تربية عسكرية وإنشاء لمصانع الذخيرة والعتاد الحربى الذى كنا نعتمد فى الحصول عليه على أعدائنا من دول الاستعمار ، وحشد كل قوانا فى المعركة ووقوف كافة طبقات الشعب إلى جانب الجيش المنظم ، وحاجتنا قبل كل ذلك إلى الوحدة ؛ ففى وحدة الدول العربية وتضامنها أعظم قوة للعرب .

٣

وخلقت الكارثة أيضا أدبا جديدا أطلقنا عليه أدب النكبة أو المأساة ، لأنه اتخذها موضوعا له تناول أحداثها ، وسجل وقائعها ، وقص أهوالها ، فلم تكد تقع الكارثة حتى أخذ الكتاب والشعراء فى العالم العربى ينشرون فى الصحف والمجلات ، ويذيعون على أمواج الأثير فيضا زاخرا مما أبدعته قرائحهم من أدب استلهموا فيه الكارثة واستوحوا أحداثها • ولم يكن ما نشر فى الصحف والمجلات ، وما أذيع على الأثير إلا قطرة من خضم مما أوحت به الكارثة بجانب ما أخرجته المطابع من ملاحم ومسرحيات ودواوين شعرية وأقاصيص وقصص ومسرحيات نثرية ، وهكذا تمثلت فى أدب النكبة كل فنون الأدب من الأقصوصة إلى القصة إلى المسرحية النثرية إلى المقالة إلى الخطبة ، ومن المقطوعة إلى القصيدة إلى الملحمة إلى المسرحية الشعرية • وعلى سبيل التمثيل نسوق الدواوين والملاحم الآتيـــة :

١ ــ فلسطين وأخواتها : ملحمة شعرية للشاعر اللبنانى بولس سلامة ، سنة ١٩٤٨ •

٢ ــ ملحمة فلسطين الشهيدة للشاعر المصرى محمود محمد صادق ــ الأهرام فى ١٩٤٧/١١/٢٧ وقد عممتها جامعة الدول العربية فى جميع أنحـــاء العالم العربى •

٣ ــ رسالة الشعر القومى إلى العالم العربى والشرق : الحلقة الأولى والحلقة الثانية للشاعر المصرى محمود محمد صادق ــ دار المعارف سنة ١٩٤٩ •

٤ ــ النازحة : ملحمة شعرية للشاعر اللبنانى محمد شمس الدين ، سنة ١٩٥٠ •

٥ ــ أرض الشهداء : ملحمة شعرية للشاعر البحرانى إبراهيم العريض ، سنة ١٩٥١ •

٦ — المهزلة العربية : ملحمة شعرية للشاعر الفلسطينى محمود الحوت ، سنة ١٩٥١ .

٧ — المشرد : ديوان شعر للشاعر الفلسطينى عبد الكريم الكرمى (أبى سلمى) ، سنة ١٩٥٣ .

٨ — مع الغرباء : ديوان شعر للشاعر الفلسطينى هارون هاشم رشيد سنة ١٩٥٤ .

وفى ميدان القصة نشير إلى المجموعات الآتية :

١ — من وحى الواقع للأستاذ أمين ملحس — مكتبة المنار — القدس .

٢ — كفر للأستاذ نبيل شحاته الخورى — بيروت — ١٩٥٢ .

٣ — الأخوات الحزينات للأستاذ نجاتى صدقى — دار المعارف — القاهرة سنة ١٩٥٣ .

وفى مجال المقالة تتراءى أمام أنظارنا عشرات المقالات والكلمات القوية الملتهبة ، بل الصرخات المدوية الصادرة من الأعماق لأقطاب الفكر وأعلام البيان فى العالم العربى .

ففى فلسطين الأستاذ أكرم زعيتر والأستاذ عزت دروزة والأستاذ قدرى طوقان والأستاذ إميل الغورى والأستاذ حمدى الحسينى .

وفى مصر الأستاذ أحمد حسن الزيات والأستاذ أحمد أمين والأستاذ محمد عبد الله عنان والأستاذ محمد فريد أبو حديد والأستاذ عمر الدسوقى والأستاذ سيد قطب والأستاذ محمود شاكر والدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ محب الدين الخطيب والأستاذ عادل الغضبان والأستاذ نقولا الحداد والأستاذ أحمد الشرباصى والأستاذ أنور المعداوى والأستاذ وديع فلسطين .

وفى سورية الأستاذ على الطنطاوى والأستاذ شكرى فيصل والدكتور زكى المحاسنى .

وفى لبنان الأستاذ رئيف خورى والأستاذ عبد الله العلايلى والدكتور سهيل إدريس •

وفى شمال أفريقيا فضيلة الشيخ البشير الإبراهيمى والأستاذ علال الفاسى وعبد العزيز الثعالبى •

وفى العراق الأستاذ كامل الجادرجى والأستاذ إبراهيم الواعظ والأستاذ فائق السامرائى ؛ إلى جانب عشرات من الكتاب فى بقية أقطار العروبة والإسلام •

وقد أخذت أتتبع باهتمام هذا الأدب الذى استوحى الكارثة بجميع فنونه وألوانه ما صدر منه سنة ١٩٤٨ وما صدر فى السنوات التالية لها ، وأحرص على جمعه ودراسته ومدى تصويره للكارثة وتعبيره عنها حتى ألفيت عندى منه مادة كافية لإصدار كتاب عنوانه « أثر مأساة فلسطين الأدب العربى الحديث » أتناول فيه فنون الأدب كلا على حدة وأتخير من كل فن ما راقنى وأقدم منه نماذج وألقى عليها أضواء من النقد والبحث والدرس •

٤

ولكن الكتاب الذى أشرت إلى صدوره فى أعقاب صيف سنة ١٩٥٣ لم يصدر ، على الرغم مما نشر عن قرب صدوره فى مجلات القلم الجديد الأردنية ، والأديب والآداب اللبنانيتين والأسبوع العراقية وصوت البحرين البحرانية والعالم العربى القاهرية وعلى الرغم أيضا من النداء الذى وجهته المجلات السابقة للكتاب والشعراء فى الأقطار العربية ليرسلوا لى ما أوحت لهم به المأساة من شعر ونثر واستجابتهم لهذا النداء ، حيث تفضلوا وأمطرونى بسيل دافق من مقالاتهم وقصائدهم ودواوينهم التى كانت من أهم مصادر البحث •

ويرجع ذلك إلى أنى أردت أن أجعل منه رسالة جامعية أحصل بها على درجة الماجستير من كلية دار العلوم التى تخرجت فيها ، وتقدمت

لمجلس الكلية طالبا تسجيل موضوع الرسالة فلم يوافق عليه بالصيغة التى تقدمت بها وعدله إلى « موقف الأدب العربى الحديث من محنة فلسطين » بدلا من « أثر مأساة فلسطين فى الأدب العربى الحديث » .

وتعقدت أمامى جوانب البحث لأنى كنت خلال الفترة الماضية قد أعددت الأدب الذى استوحى فلسطين بعد المأساة ولم أعد الأدب الذى استوحاها قبل المأساة ومحنة فلسطين تبدأ بصدور وعد بلفور فى اليـوم الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ .

والمأساة تبدأ بإقرار هيئة الأمم مشروع التقسيم فى التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٧ وبين اليومين أمد طويل معناه بلغة البحث العلمى أن أدرس الأدب الذى استوحى فلسطين خلال هذه الفترة الطويلة التى تبلغ ثلاثين سنة سواء أكان هذا الأدب من نتاج أدباء فلسطين أو نتاج أدباء الأقطار العربية .

وبدأت تواجهنى أصعب مشكلة فى طريق البحث ، وهى العثور على مصادر هذا الأدب فى هذه الفترة التى يغشيها الضباب ويلفها الغموض لأنها أعقبت الحرب العالمية الأولى التى غيرت معالم الدنيا وشهدت الحرب العالمية الثانية ، وساءلت نفسى أين أجد هذا الأدب ؟

أيمكن أن أجده فى المجلات الأدبية والصحف اليومية التى صدرت فى القاهرة ودمشـق وبيروت والقدس وبغـداد وغيرها من عواصم العروبة ؟

وهل من الممكن الرجوع إلى هذه الصحف التى قد يتجاوز عددها الخمس فى عاصمة واحدة ؟

ولأول مرة فى حياتى أدركت صعوبة موقف الذين يتصدون لأبحاث علمية على أسس منهجية دون أن تكون مصادر البحث تحت أيديهم أو قريبة المنال منهم وأخذت أجمع مادة البحث وقضيت شهورا تبين لى بعدها أن هذه المادة من الغزارة والسعة والتنوع بحيث يتعذر أولا جمعها ،

وثانيا الاختيار منها ، وثالثا دراستها ؛ فالأدب شعر ونثر ، والشعر غنائى وقصصى ومسرحى ، والنثر مقالة وخطبة وقصة ورواية ، وتأكدت أن جهودى فى هذه السبيل ستضيع سدى ورجعت الى مجلس الكلية وعرضت عليه الأمر واقتنع به وعدل الموضوع فأصبح « موقف الشعر العربى الحديث من محنة فلسطين » وصار مقصورا على الشعر الذى استوحى فلسطين قبل المأساة وفى أثنائها وبعد حدوثها وتحدد زمن البحث من ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٥ •

وعادت تواجهنى الصعاب وتجابهنى المشكلات •

وأولى هذه المشكلات مشكلة العثور على الشعر الذى استوحى المحنة قبل الكارثة من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٤٧ وتفرع عن هذه المشكلة الرئيسية مشكلات فرعية •

الأولى : صعوبة العثور على شعر شعراء فلسطين الذى نشر فى صحف فلسطين أيام الانتداب البريطانى وقد ضاعت مجموعات تلك الصحف بضياع فلسطين ، ولم أجد للأسف أى مجموعة منها فى دار الكتب بالقاهرة •

الثانية : العثور على شعر الشعراء من أبناء الأقطار العربية باستثناء مصر الذى نشر فى الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى حواضر العالم العربى يومئذ فى بغداد ودمشق وعمان وبيروت وغيرها فى نفس الفترة ولم ينشر فى دواوين •

الثالثة : العثور على شعر شعراء مصر الذى لم ينشر فى دواوين •

وثانية المشكلات الرئيسية صعوبة الاتصال بالشعراء من أبناء فلسطين الذين نشروا دواوينهم فى أقطار عربية غير مصر ، ونشروا قصائدهم فى صحف تلك الأقطار بعد أن شردتهم الكارثة وكثير منهم لم يتح له نشر شعره •

وثالثة هذه المشكلات أن كثيرا من دواوين الشعر التى نشرت لشعراء

الأقطار العربية فى القدس وعمان ودمشق وبيروت وبنغازى لا يصل إلى أيدى القراء فى القاهرة .

ولكنى أخذت أبذل كل ما فى وسعى للتغلب على هذه المشكلات وتذليل تلك الصعاب باتصالاتى الشخصية فاتصلت أولا بإخوتى الشعراء من أبناء فلسطين الذين طوحت بهم الكارثة إلى أقطار عربية — وكلهم إخوة كفاح وزملاء تشرد ورفاق فاجعة — فأمدونى أولا بدواوينهم التى نشروها فى تلك الأقطار وثانيا بقصائدهم التى لم تنشر فى الدواوين .

واتصلت ثانيا بعدد من شعراء الأقطار العربية فى العراق وسورية ولبنان والكويت والبحرين فأرسلوا إلى دواوينهم وقصائدهم التى لم تتضمنها الدواوين .

ووجدت عند عدد من أبناء فلسطين الذين لجأوا للقاهرة بعد الكارثة نماذج شعرية متعددة للشعر الفلسطينى الذى استوحى المحنة قبل الكارثة .

وأشق جهد بذلته هو الرجوع إلى مجموعات الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى القاهرة وتوقف بعضها ولا يزال البعض الآخر يوالى الصدور ، وفى مقدمة هذه الصحف صحيفة الأهرام وكم لقيت من عنت ، وقضيت من وقت وأنا أراجع أعداد أعوام منها وكثيرا ما كان يحدث أن أقضى أياما وأسابيع فى مراجعة أعداد عام كامل دون أن أجد أى نص أو أعثر على أى قصيدة وفى مقدمة المجلات مجلة الفتح التى أصدرها فى القاهرة الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٩٢٦ ، وكانت أصعب فترة زمنية هى الفترة الواقعة بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٣٣ إذ كانت مصادرى فيها تكاد تكون محصورة فى مجموعات الصحف اليومية ومجموعات بعض المجلات التى لا ينتظم صدورها .

وابتداء من سنة ١٩٣٣ أصبح العثور على المادة أيسر منالا حيث صدرت فى هذه السنة فى القاهرة مجلة الرسالة التى تولى إصدارها الأستاذ أحمد حسن الزيات ، وكان يشترك فى تحريرها الدكتور طه حسين وأعضاء

لجنة التأليف والترجمة والنشر كما كانت منبراً لأعلام الفكر والبيان فى العالم العربى وفى سنة ١٩٣٨ صدرت فى القاهرة أيضا مجلة الثقافة عن لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وفى سنة ١٩٤٢ أصدر الأستاذ ألبير أديب فى بيروت مجلة الأديب اللبنانية وقد أمدتنى هذه المجلات الثلاثة بالاضافة إلى مجلة الفتح ومجموعات صحيفة الأهرام بمقادير وفيرة من النصوص الشعرية التى استوحت فلسطين قبل الكارثة وبعدها .

وأتيح لى أن أطلع أولا على جميع الدواوين الشعرية التى نشرت فى القاهرة خلال زمن البحث سواء أكان أصحابها من أبناء مصر أم من أبناء الأقطار العربية كما أتيح لى أن أطلع ثانياً على الدواوين الشعرية التى نشرت فى حواضر العالم العربى خلال زمن بحثى وأن أطلع ثالثاً على شعر شعراء المهجر فى الزمن نفسه سواء أكان أولئك الشعراء ينتمون إلى الرابطة القلمية فى المهجر الشمالى أم إلى العصبة الأندلسية فى البرازيل « المهجر الجنوبى » .

أما الأسباب التى دفعتنى لاختيار موضوع الكتاب فكثيرة :

منها : أننى من أبناء المأساة اكتويت بها وتلظيت نارها ، على الرغم من حدوثها وأنا فى القاهرة حيث ضاع وطنى فلسطين ، واغتصبت العصابات الصهيونية قريتى السوافير ، وتشرد أهلى واخوتى وأبناء عمومتى وأفراد عشيرتى ، ومئات الألوف من قومى ، وهاموا على وجوههم فى الأرض .

ومنها : أن النكبة أيقظت العرب وكشفت لهم عن جوانب الضعف ومهدت للثورات السياسية التى حدثت فى العالم العربى .

ومنها : أن الشعر الذى استوحى فلسطين قبل النكبة وبعدها شعر وطنى قومى تلتمع فى ثناياه البطولات وتتألق التضحيات وتشرق الأمجاد العربية والإسلامية الخالدة من ذكريات العزة والقوة .

ومنها : أن هذا الشعر لا يهم عرب فلسطين وحدهم وإنما يهم

الناطقين بالضاد فى الوطن العربى ، وملايين المسلمين فى الكرة الأرضية لأن محنة فلسطين محنة العرب والمسلمين .

ومنها : أن فى عرضى لنصوص هذا الشعر ودراستى لها وفاء منى لفلسطين وأداء لحق من حقوق أمتى العربية التى أفتخر بانتسابى إليها .

ومنها قبل ذلك وبعده : أن هذا البحث مبتكر وموضوعه جديد لم يمهد طريقه بأحث ، ولم يعالجه دارس ومن أهم مصادرى .

أولا : ما تفضل به على إخوتى الشعراء فى فلسطين والأقطار العربية الذين اتصلت بهم فأمدونى بفيض من شعرهم فى المأساة (١) .

---

(١) من هؤلاء الشعراء :

أولا فى فلسطين : فدوى طوقان — دعد الكيالى — سميرة أبو غزالة — أبو سلمى — محمود سليم الحوت — محمود نديم الأفغانى « شاعر شباب فلسطين » رجاسمرين — كمال ناصر

ثانيا فى الأردن : عيسى الناعورى — ابراهيم القطان .

ثالثا فى مصر : محمود حسن اسماعيل — محمد عبد الغنى حسن — محمود غنيم — محمد مصطفى الماحى — على الجندى — العوضى الوكيل — محمد رجب البيومى .

رابعا فى سورية : محمد الشريقى — زكى المحاسنى — انور العطار — عادل الغضبان — سليمان العيسى — على دمر .

خامسا فى لبنان : محمد على الحومانى .

سادسا فى العراق : عدنان الراوى — خالد الشواف — على الحلى

سابعا فى المملكة السعودية : ابراهيم هاشم الفلالى — طاهر زمخشرى — محمد حسن عواد — حسن عبد الله القرشى .

ثامنا فى حضرموت : على أحمد باكثير — أحمد السقاف — عبد الله يحيى العلوى .

تاسعا فى الكويت : عبد الله زكريا الأنصارى .

عاشرا فى البحرين : ابراهيم العريض .

حادى عشر فى المغرب العربى : محمد اليمنى الناصرى — أبو عبد الله الجزائرى .

ثانى عشر فى المهجر : رشيد سليم الخورى « الشاعر القروى » جورج صيدح — الياس فرحات ، ايليا أبو ماضى .

ثانياً : ما تفضلت به على الأندية والجمعيات الثقافيـــة فى العالم العربى وأخص منها بالذكر جمعية الشبان المسلمين فى القاهرة والرابطة العلمية الأدبيـــة فى النجف الأشرف بالعراق حيث أتاحت لى الأولى الاطلاع على مجموعات مجلتها وما أنشـــد على منبرها من شعر استوحى فلسطين • وقد احتضنت جمعية الشـــبان المسلمين فى القاهرة قضية فلسطين وأحرارها المجاهدين ، وجعلتها قضية المسلمين والعرب وبذلت فى سبيلها — ولا تزال تبذل — جهوداً تستحق عليها أصدق الشـــكر • وذلك منذ نشأتها إلى اليوم فى عهد رئيسها السابق المغفور له عبد الحميد سعيد ورئيسها الحالى اللواء محمد صالح حرب •

أما الرابطة العلمية الأدبية فى النجف الأشرف فقد أهدتنى مجموعتها الشعرية الرائعة « الفلسطينيات » التى تضم إحـــدى وثلاثين قصيدة لشعراء الرابطة استوحت فلسطين على أثر ثورتها الكبرى سنة ١٩٣٦ وهى مطبوعة فى العراق سنة ١٩٣٩ •

ثالثاً : ما تفضل به على أصدقائى من رجال الفكر والأدب فى العالم العربى الذين قدموا لى جزازات من صحف فلسطين أيام الانتـــداب تحوى شعراً استلهم فلسطين ولم ينشر فى دواوين •

وقدمو إلى قصائد نشرت فى صحف ومجلات لا تصل للقاهرة وقصائد لشعراء فلسطين كانوا يحتفظون بها لأنفسهم ودواوين شعرية لم أجدها فى دور الكتب (١) •

رابعاً : الدواوين الشعرية التى طبعت فى القاهرة فى الفترة الواقعة

---

(١) من هؤلاء فى القاهرة الأستاذ وديع فلسطين الذى تفضل فقدم الى طائفة من القصائد استلهمت المأساة ونشرت فى صحف الأقطار العربيـــة التى لم تصل يدى اليها ، وطائفة أخرى من الدواوين الشعرية لشعراء المهجر .
وفى عمان الأستاذ يعقوب العودات « البدوى الملثم » .
وفى بيروت :
الأستاذ البير أديب وقد تفضل فأهدانى مجموعات مجلة الأديب من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٥٢ والأستاذ الدكتور محمد يوسف نجم والأستاذ الدكتور احسان عباس .

بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٥٥ لشعراء مصر والأقطار العربية والمهاجر الأمريكية •

خامساً : الدواوين المخطوطة وقد اطلعت منها على ديوان المرحوم الشيخ فؤاد الخطيب وديوان أناشيدى للأستاذ عيسى الناعورى وأغانى العودة للشاعر على هاشم رشيد والضائعون للشاعر رجا سمرين ثم طبعت هذه الدواوين بعد ذلك •

سادساً : مجموعات جريدة الأهرام من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥٠ •

سابعاً : مجلة الفتح •

ثامناً : مجلة الرسالة •

تاسعاً : مجلة الثقافة •

عاشراً : مجلة الأديب •

حادى عشر : مجلة الآداب •

وعلى الرغم مما قرأت من مصادر لا أستطيع أن أزعم أننى قرأت كل الشعر العربى الحديث الذى استوحى محنة فلسطين و استوعبت جميع مادته لم تفتنى منه قصيدة ولم يند عنى نص فهناك من غير شك نصوص لم يتح لى الاطلاع عليها وبخاصة فى المغرب العربى وفى ليبيا ولكنى أقرر حقيقة لا مجال للشك فيها وهى أننى اطلعت على أكبر مقدار من الشعر الذى استوحى فلسطين خلال زمن بحثى وإن حظ شعر أبنـاء فلسطين كان أوفر وأكبر من حظ شعر أبناء الأقطار العربية • وإنى بذلت جهوداً مضنية فى جمع مادة هذا الشعر وأخذت أجيل النظر وأمعن الفكر فيما جمعت درسا وتحليلا وموازنة ونقداً واحتكاماً إلى ذوقى الأدبى الخاص ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى إصدار أحكامى على الشعر •

ودراستى للمادة الشعرية وذوقى الأدبى الخاص هما اللذان أوحيا إلى بتخير النصوص التى عرضتها على اعتبار أنها أقوى القصائد وأجودها وأصدقها تعبيراً عن عواطف الشعراء وإحساسهم بالمحنة ، وانفعالهم

بجوانبها ولطالما أمضيت الساعات وأنا أوازن بين طائفة من القصائد تناولت حادثا سياسياً بذاته أو جانباً من جوانب المحنة لاختيار أجودها وكنت أقف هذا الموقف نفسه من الشاعر الواحد لأختار أجود ما قال إذا كثر عدد القصائد التى استوحى فيها المحنة .

وكنت أجعل الشعر الجيد فى نظرى هو الهدف لا الشاعر ولذلك لم تدفعنى شهرة الشاعر وحدها لاختيار شعره ولم يمنعنى عدم شهرته عن الاختيار له ويصدق هذا على شعراء فلسطين كما يصدق على شعراء الأقطار العربيـــة .

فالشعر الذى تخيرته هو أقوى شعر فى نظرى بالنسبة لما اطلعت عليه ، والنصوص التى عرضتها هى أجود ما قرأت ، وقد تختلف آراء النقاد وأذواقهم مع رأيى وذوقى وقد تبتعد أحكامى عن الصواب قليلا أو كثيراً ولكن عذرى الذى يشفع لى هو أننى كنت صادقاً مع نفسى ، ومنصفاً من وجهة نظرى .

وهناك مسألة لبد من الإشارة إليها هى أننى لم أتخير نصوصاً فى هذا البحث من الشعر الحر لأنى لم أجد فيمـا اطلعت عليه القوة والجودة اللتين ينبغى أن تتوافرا فيما تخيرت .

٥

وفى أمسية ١٨ أكتوبر ســنة ١٩٦٢ نوقش البحث أمـام لجنـة المناقشة [١] بمدرج على مبارك فى كلية دار العلوم — جامعة القاهرة — ونلت به درجة المـاجستير فى الأدب العربى بتقدير جيد جداً ، وحان إصدار الكتاب الذى كان مقرراً صدوره فى صيف سنة ١٩٥٣ فتأخر إلى صيف سنة ١٩٦٣ .

---

(١) كانت لجنة المناقشة مكونة من السادة الأســاتذة عمر الدسوقى رئيس قسم الدراسات الأدبية بالكلية والمشرف على البحث والدكتور أحمد الحوفى أستاذ الأدب العربى والدكتور أحمد هيكل أستاذ الأدب العربى المساعد.
وقد أبدوا ملاحظات هامة استفدت منها وراعيتها فى طبع الكتاب وانى أتوجه لحضراتهم بأعمق الشـــكر .

واقتضى طبع البحث فى كتاب أن أحدث تعديلات فى منهجه ، وتحويراً فى أبوابه وفصوله ، وتغييراً فى الصورة التى قدم بها للكلية ، بحذف ما لم تدع الحاجة إليه ، وإضافة ما يتطلبه المقام ، وإدماج بعض الفصول فى بعض ، وجلاء مواقف ، وإضاءة زوايا ، والوقوف عند أحداث والإيجاز فى ناحية الإسهاب فى أخرى .

ولقد كانت مادة البحث فى الرسالة الجامعية مقسمة إلى ثلاثة أقسام الأول العرض التاريخى للمحنة قبل المأساة وبعدها والثانى النصوص الشعرية التى تناولت المحنة قبل المأساة وبعدها أيضاً والثالث الدراسة النقدية فقسمتها فى الكتاب إلى قسمين القسم الأول المحنة قبل المأساة من الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى التاسع والعشرين منه سنة١٩٤٧ . وفيه تناولت العرض التاريخى للمحنة خلال هذه الفترة وأتبعته بإيراد النصوص الشعرية التى استلهمت أحداثهـا لشعراء فلسطين والأقطار العربية والمهاجر الأمريكية واتبعت النصوص بدراسة نقدية لهذا الشعر متضمنة اتجاهاته وأفكاره وصوره وأساليبه .

والقسم الثانى المحنة فى أثناء المأساة وبعـد حدوثها من التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٧ إلى الحادى والثلاثين من ديسمبر سنة ١٩٥٥ وفيه واصلت عرضى التاريخى للمحنة فى أثناء المأساة وبعدها ، وأتبعته بالنصوص الشعرية ثم بدراستها كما فعلت فى القسم الأول .

واستهدفت من ذلك تقديم صورتين واضحتين لفلسطين الأولى عن أحداثها التاريخية والسياسية وموقف الشعر منها قبل المأساة والثانية عن أهوالها وفواجعها وموقف الشعر منها بعد المأساة والبون الشاسع بين الصورتين .

وأنهيت القسم الثانى من الكتاب بدراسة موضوعية قارنت فيها بين نكبة العرب والمسلمين الأولى فى الأندلس ونكبتهم الثانية فى فلسطين وما بين النكبتين من اتفاق واختلاف .

وأرى لزاماً على قبل أن أنهى هذه المقدمة أن أعتذر أولا للإخوة الشعراء فى فلسطين والوطن العربى الذين قدموا لى ذوب عواطفهم فى مأساة بلادى عن تأخير صدور هذا الكتاب إلى اليوم وأن أشكرهم ثانياً لأن قصائدهم المرسلة لى كانت أهم مصادرى فى البحث وأشكر الأصدقاء الأعزاء من أعلام الفكر ، وأرباب القلم الذين قدموا لى كل عون .

والله أسأل أن يلهمنى الرشد والسداد

مصر الجديدة فى مايو سنة ١٩٦٣

كامل صالح محمود السوافيرى

تصوير اللاجئين

النص الأول للشاعر أبى سلمى (١)

فلسطين أين تربتك العذراء ... تفتضها يد المجتاح
ّ قلبى على التراب خضيباً ... بشظايا الأعراض والأرواح
يا النازحون كيف تهاويتمْ ... نجوماً على غريب البطاح ؟
أنتم ؟ إن القلوبَ تنادى ... فيحول النداء رجْع نواح ؟
كمْ فى ملاعب الحرب كنتمْ ... فى فلسطين وحدكم فى السّاح
حملتم عبء القضيّة أنتم ... وكفرْتم بعصبة الأشْباح
لوتم عرائس المجد فوق الأفق ... بين السّنى وخفق الوشاح
دُفنتمْ هناك طىّ تُراب ... طهّرته الدّماءُ قبل البراح

* * *

أحبّاىَ ، والفراقُ طويلٌ ... ما على القلب إن بكى من جُناح
يالى أحنى عليكم من الأهل ... وأندى من الوجوه الصباح
ّ طفل كأنه دمعةُ الفجر ... ترامتْ على مُحيّا الصباح
تاةٍ كأنها عبقُ الزّهر ... تلاشى على ذيول الرّياح
فرشنا القلوبَ حرّى لنمتمْ ... بين أحنائها وتلك الصفاح
منتمْ غوائلَ العُربِ لا الدهر ... وظللتمُ بأوفى جناح

النص التاسع للشاعر رجا سمرين [1]

وضمةٌ أنت فى جبين الدهور
يا خياماً فى القفر مثل القبورِ

يا نشاز الأنغام ، يا سُبّةَ التاريخ
والناس فى جميع العصورِ

أنت مأوى للبؤس شيدك الظلم
على رسْم حقّنا المهدورِ

أنت سفر الآلام سَطره البَغْىُ
بأيدٍ مخضوبةٍ بالشرورِ

* * *

كم حَوى نسجُك الأرثّ عزيزاً
يَسفَحُ الدّمعَ فى دُجى الديجورِ

راثياً عيشهُ الكريم وعهداً
قد قضاهُ مُنَعما فى القصورِ

يوم أن كان فى الديار كريماً
يُتْرِعُ الكأس من مُدام السّرورِ

النص العاشر للشاعر خليل زقطان [2]

أنا فى ظِلال الواقع المشْحونِ بالأرزاء أحيا
أنا رغم آلامى الجسام غَدَوتُ أطوى اليأس طيا
وأقودُ آمالى على أشلاء حُلْم كان غيا

* * *

(١) من قيمية عنوانها (خيام اللاجئين) الضائعون ص ٢١ .
(٢) من قصيدة عنوانها (قسما بجوع اللاجئين) ديوان صوت الجياع ص ١١ .